(الرها – عيذاب – تُونس)

أقصى حدود التوسعات الصليبية

خلال المرحلة ما بين عامى ١٠٩٧م – ١٢٩١م

obeikandl.com

(الرها – عيذاب – تونس)

أقصى حدود التوسعات الصليبية

خلال المرحلة ما بين عامى ١٠٩٧م – ١٢٩١م

نتناول فى الصفحات التالية التوسعات الصليبية فى أقصى مدى لها وهى التى شملت الرها، وعيذاب، وتونس على نحو شكّل مثلثاً جغرافياً على جانب كبير من الأهمية الإستراتيجية خلال المرحلة الواقعة ما بين عامى ١٠٩٧م، ١٢٩١م، أى على ما زاد عن قرنين من الزمان.

والواقع، أن المتأمّل لتاريخ الغزو الصليبى لبلاد الشام والجزيرة، فى أُخريات القرن ١١م،، يلاحظ أن الصليبيين أقاموا عدة كيانات سياسية فى صورة إمارة الرُّها[١] Edessa عام ١٠٩٧م، وأنطاكيه[٢] Antioch عام ١٠٩٨م، وبيت المقدس [٣] Jerusalem عام ١٠٩٩م، وصارت مركزاً للمملكة الصليبية، ثم إمارة طرابلس [٤] Tripolis عام ١١٠٩م، وذلك على مدى ١٢ عاماً فقط من تاريخ الحركة الصليبية المبكّر فى المنطقة، وكانت أبعد نقطة فى ذلك الكيان صوب الشرق هى الرها، وقد شكّلت رأس البلطة الصليبية التى تمثلت فى الساحل الشامى وسهله.

وطوال القرن الثانى عشر م، ظل الوجود الصليبى متمثلاً فى الإمارة المذكورة، إلى أن سقطت عام ١١٤٤م، دون أمكانية الخروج من "الشرنقة الشامية"، إلا أنه خلال عهد الملك عمورى Amalric (١١٦٣– ١١٧٤م) حاول التوسّع صوب مصر الفاطمية من خلال حملات ثلاث على مدى أعوام ١١٦٤م، ١١٦٧م، ١١٦٩م، دون جدوى بعد أن صدّه فى سبيل تحقيق هدفه الحلف العباسى– النورى، ومواجهة نورالدين محمود لتلك الحملات على نحو أدى فى النهاية إلى إسقاط الحكم الفاطمى عام ١١٧١م من خلال عوامل داخلية وخارجية وازن بينها صلاح الدين

الأيوبى على نحو أدّى إلى الإنجاز التاريخى المذكور الذى من خلاله عادت مصر بكافة إمكاناتها المادية والبشرية إلى المعسكر السنّى بعد طول عداء معه.

ومن بعد مرور (١١) عاماً على إسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م، وبعد (٨) أعوام من رحيل عمورى وكذلك نور الدين محمود عام ١١٧٤م، وُجدت محاولة صليبية نادرة وغير مسبوقة من أجل التوسّع جنوباً عبر البحر الأحمر من خلال مهاجمة مواقع فى ضفّتيه الشرقية والغربية فى الحجاز ومصر، وذلك عام ١١٨٢م.

ومن بعد ذلك فى القرن الثانى، وأعنى به القرن ١٣م حدثت حملة صليبية كبيرة من جانب الملكية الفرنسية فى ظل أسرة "آل كابيه" من أجل التوسّع فى عالم البحر المتوسّط من خلال مهاجمة تونس فى ظل حكم الحفصيين عام ١٢٧٠م.

ومن الأهمية بمكان رصد وتتبع ما يشبه المثلث الجغرافى المتمثل فى (الرها- عيذاب- تونس) من أجل البحث فى دوافع التوسعات الصليبية على مدى قرنىّ الحروب الصليبية (القرنان ١٢، ١٣م).

أما فيما يتصل بالرها، فنعرف أنها احتلّت موقعاً جغرافياً فريداً، فقد وقعت فى إقليم الجزيرة الفراتية فى حفرة وادى منبسط نحو الجنوب والشرق فى كفّ جبل القدس[٥] الذى كان يُشرف على سهل ممتد نحو الجنوب حتى يتّصل بأرض حران على بعد (٣٣) كم، ويجرى نهر الفرات فى جهة الشمال منها على بعد (٤٤) كم؛ وكذلك فى جهة الغرب على بعد (٨٨) كم[٦]، كما وُجد بها وبالقرب منها أنهار كدجلة وإيبلينج[٧].

وكل ذلك يعنى أنها وقعت فى منطقة تتوافر فيها مصادر المياه، على نحو سمح بنشاط زراعى وافر خاصة مع خصوبة أرضها، وانعكس ذلك بالضرورة على نشاطها الاقتصادى الحرفى والتجارى.

كما نلاحظ أن الرها وقعت على أحد الطرق التجارية الكبرىالتى وصلت بين جبال أرمينيا شمالاً، وديار الشام[٨] جنوباً، كذلك تفرّعت منها العديد من الطرق التجارية المهمة إلى مرعش، وحلب، وغيرها من الحواضر الشامية، وهكذا، فهناك من يقرر أن موقعها جعلها تسيطر على أهم الطرق التى تصل ما بين بلاد النهرين بالساحل الشامى[٩] .

ويضاف إلى ذلك كلّه، وقعت الرُها على طريق الحرير[١٠] Silk Road الدولى العابر للقارات، والذى يبدأ من شنغهاى بالصين إلى فينيسيا بإيطاليا، على نحو ضمن لها أهمية تجارية بارزة حققت من ورائها مكاسب مالية وفيرة.

وإلى جانب ذلك، وجدنا الرُها تحتل أهمية دينية من خلال احتوائها على نحو(٣٠٠) بيعة ودير، ويضاف إلى ذلك احتوائها على كنيسة عظيمة الشأن[١١] يقال أنها احتوت على منديل السيد المسيح الذى كان مقدّساً للمسيحيين، ولذلك حرصوا على زيارتها، وهكذا، فقد وصفت بالقداسة.

ويقرر المستشرق الفرنسى البارز/ كلود كاهن(Claude Cahen ت ١٩٩١م) ما نصّه عن الرها "هي مدينة لمُ تحرّك مشاعر الناس لقلة من يعرفها"[١٢] وهو أمر جانبه الصواب نظراً لمكانتها الدينية الشهيرة وارتباطها بالمنديل Mandelonالمذكور، وورود ذكرها فى كتب الحجاج الأوروبيين حتى فيما قبل مرحلة الحروب الصليبية.

ويُضاف إلى كل ذلك تمتّعت الرُها بالحصانة من خلال أسوارها المنيعة، ولا ريب فى أن ذلك زاد فيما تمتّعت به من مميزات؛ فكان من الطبيعى أن يتجه إليها الصليبيون بأنظارهم، ليقيموا بها إمارة عُدّت أولى كياناتهم السياسية على أرض الشرق فى أُخريات القرن ١١م.

وقد ظلّت تلك الإمارة قائمة تقوم بدورها كمحطة إنذار مبكّر للصليبيين تُرشدهم عن أية تحركات حربية إسلامية قادمة من الشرق، إلى أن سقطت على أيدى المسلمين بقيادة أتابك الموصل عماد الدين زنكى عام ١١٤٤م، وذلك نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية[١٣] فعّالة منها: ضعف شخصية حاكمها جوسلين الثانى، وانهماكه فى حياة الترف والفساد، كذلك هناك تصارعها مع إمارة أنطاكية الصليبية، وهو صراع أجهد الإمارتين، خاصة إمارة الرُها.

والأمر المؤكد، أن إمارة الرها دفعت ثمن موقعها الجغرافى المتميز، الذى على الرغم من عناصر القوة فيه التى أشرتُ إليها من قبل، إلا أنه احتوى على نقاط ضعف لا تُنكر فى صورة عدم تلقيها دعم الحجاج الأوربيين القادمين لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية في الشرق، بالإضافة إلى إمدادات المدن التجارية الإيطالية، كذلك هناك ابتعادها عن باقى الكيان الصليبى المتمركز فى الساحل الشامى والسهل المجاور له، كما أن موقعها المذكور جعلها تتلقى أولاً الضربات العسكرية من المشرق بصورة أعنف من غيرها، ولذلك لم يكن غريباً أن أول إمارة أقامها الصليبيون عام ١٠٩٧م، هى نفسها أول إمارة سقطت فى قبضة المسلمين عام ١١٤٤م، وبالتالى، تكون الرها قد عمرت (٤٨) عاماً أى لم يصل عُمرها تاريخياً إلى نصف قرن من عمر الزمان أو ما يوصف بأنه ¼ مدة تاريخ الوجود الصليبى فى بلاد الشام والجزيرة؛ وعندما نقارنها بباقى عناصر ذلك الكيان، نجد أن إمارة أنطاكية عمّرت ما بين عامى ١٠٩٨م، ١٢٦٨م أى (١٧٠) عاماً؛ أما إمارة طرابلس فقد دامت ما بين عامى ١١٠٩م، ١٢٨٩م أى (١٨٠) عاماً، أما مملكة بيت المقدس فقد دامت ما بين عامى ١٠٩٩م، ١١٨٧م، أى (٨٩) عاماً، وانتقلت بعد ذلك لتكوّن مملكة عكا ما بين عامى ١١٩١م، ١٢٩١م أى قرن كامل من الزمان، وبالتالى، فإن إمارة الرها كانت أقصر إمارات الكيان الصليبى وجوداً.

ولا جدال في أن إمارة الرها كانت أقصى توسّع صليبي نحو الشرق، ولم يحدث أن توسع الغزاة أبعد من ذلك صوب ذلك الإتجاه؛ ومن الممكن رصد وجودها على أنه أحد عناصر مثلث التوسعات الصليبية شرقاً وجنوباً وغرباً فى صورة الرها، عيذاب، تونس، ومن المهم تأمّل ذلك الشكل الجغرافى السياسى من أجل فهم مطامع الصليبيين لتطوير وتوسيع وجودهم فى المنطقة على حساب المسلمين بطبيعة الحال، والإحتفاظ قدر استطاعتهم بمناطق توسّعهم دون افتقادها.

أما المنطقة الجنوبية فى المثلث المذكور، فقد تمثّلت فى عيذاب الواقعة على ساحل البحر الأحمر شمال قرية حلايب على بعد (١٨) كم منها والتى تمتّعت بأهمية واضحة من خلال مرور حركة الحج الإسلامى إليها كنقطة انطلاق إلى الحجاز، كذلك كانت لها مكانتها التجارية، خاصة تجارة التوابل، ومن الملاحظ ضعفها التأمينى وعدم وجود قوات أيوبية بها لحمايتها، خاصة أن المعركة الأصلية مع الصليبيين كانت فى بلاد الشام على المستوى البرّى، وفى نطاق البحر المتوسط على الصعيد البحرى، ولذلك كانت عيذاب هدفاً سهلاً للصليبيين.

وقد أدرك الصليبيون بجلاء أهمية عيذاب فى نطاق تجارة الهند، واليمن، والسودان؛ ولندع وليمالصورى william of tyre - وهو المؤرخ الرسمى لمملكة بيت المقدس الصليبية- يوضح لنا ذلك من خلال النص التالى القوى الدلالة حيث قال:" ...ومهما ينقص فى منطقتنا من التوابل، واللآلىء، والكنوزالشرقية، والسلع الأجنبية، فإنه يُجلب إلى هنا من الهند، وسبأ، وشبه جزيرة العرب، والسودان، والحبشة وكذلك من بلاد فارس، ومن مناطق أخرى مجاورة، وتُنقل جميع هذه السلع إلى مصر العليا عن طريق البحر الأحمرالذى شكّل الطريق من تلك الشعوب إلينا، ويتم تفريغها عند مدينة عيذاب الواقعةعلى شاطىء ذلك البحر نفسه، وتُنقل عبر النيل من هناك إلى الإسكندرية"(١٤).

وقد لاحظ ذلك المؤرخ الخبير أهمية عيذاب فى حركة التجارة المذكورة وصلتها بميناء الإسكندرية بمكانته البارزة فى عالم البحر المتوسط الزاخر بالنشاط التجارى خاصة مع وجود القوى التجارية الإيطالية ودورها فيه، مثل جنوة، وبيزا، والبندقية.

وهكذا، كان الصليبيون على دراية تامة بأهمية إخضاع تلك المدينة الحيوية لسيطرتهم، وقد قاد عملية الهجوم عليها الفارس الصليبى رينو دى شاتيون[١٥] renauld de chatillon المعروف فى المصادر العربية بإرناط، وفى مقدورنا تحديد الأهداف التى كانت من وراء عمليته[١٦] فى الحجاز، والتى من خلالها هاجم عيذاب على النحو التالى:

أولاً: السيطرة على التجارة فى البحر الأحمر خاصة تلك الآتية عبر المحيط الهندى من الهند والشرق الأقصى مارة بعدن، ومضيق باب المندب، ولا نغفل هنا ملاحظة أن التوابل spices احتلّت أهمية بارزة فى تجارة ذلك العصر وحقق من يسيطر عليها أرباحاً طائلة، ونجد مثالاً واضحاً فى صورة التجارة الكارمية[١٨].

ثانياً: هدف دينى بضرب المسلمين فى أعز مقدساتهم بمهاجمة المدينة المنورة وتحويل طريق الحجالإسلامى –كما أسلفت– نحو إمارة الكرك الصليبية وتحقيق مكاسب مادية وفيرة من جراء ذلك فى حالة تحققه.

ثالثاً: إظهار الدولة الأيوبية بمظهر العاجز عن حماية الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز، وإضعاف وضعها السياسى فى أنحاء العالم الإسلامى، وخاصة فى مصر وبلاد الشام، وبالتالى توجيه لطمة قوية لمكانة مؤسسها صلاح الدين الأيوبى.

رابعاً: رفع شأن مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الرابع[١٩] baldwin iv (١١٧٤– ١١٨٥م) بخوض غمار البحر الأحمر الذى لم يسبق أن قامت فيه عمليات حربية صليبية على نحو من شأنه تحقيق

مكاسب سياسية بارزة لمملكة الصليبيين فى الغرب الأوروبى وبصورة سينتج عنها إظهارها بمظهر القوة السياسية الرائدة، وبالتالى يتدفّق عليها أعداد كبيرة من المستوطنين الذين كانت فى أشدّ الحاجة إليهم لمواجهة مشكلة نقص العنصر البشرى التى أرّقت الصليبيين.

ومن المهم هنا ملاحظة أن عملية إرناط فى البحر الأحمر لم تكن فردية، بل من خلال تخطيط محكم بإشراف وتوجيه مملكة بيت المقدس الصليبية التى من المرجح أنها وضعت كافة إمكاناتها لدعمها ولضمان نجاحها كى تحقق أهدافها على نحو سيحقق مكاسب كبيرة لها فى الغرب الأوروبى يدعم مكانتها هناك.

خامساً: التنفيس عن رغبة نفسية كامنة ناتجة عن عُقدة الأسر على مدى (١٦) عاماً (١١٦٠- ١١٧٦م) تعرّض لها إرناط، وبالتالى حرّكته الرغبة فى الإنتقام من المسلمين بضرب أعزّ مقدّساتهم، وبالتالى لا تُفهم تلك الأحداث دون دراسة سيكولوجية الأسرى خاصة فى صورة ذلك الفارس الفرنسى المعروف عنه العنف والإندفاع والتهوّر والرغبة العارمة فى الإنتقام، وهو أمر لاحظناه من قبل فى حملته الغادرة على جزيرة قبرص cyprus عام١١٥٥م، وهى التى كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية، حيث فتك بأهلها قتلاً وتشويهاً على نحو دل بجلاء على نوعية شخصيته التصادمية التى ترى دوماً أن الحل فى الحرب!! .

والواقع، أن علينا الإفادة من دراسات علم النفس فيما يتّصل بفرع علم النفس الحربى military psychology وعلى نحو خاص نفسية الأسرى، حيث دلّت الدراسات أن الأسير يتزايد شعوره بالمراقبة، وكذلك القلق والإكتئاب والأرق وانعدام الشعور بالفردية[٢٠] ؛ وتزايدت كافة تلك الجوانب النفسية مع شخصية بنوعية رينو دى شاتيون إتّسمت أصلاً بالقسوة والعنف والإندفاع والتهوّر، ويلاحظ هنا، أن

الأسير الذى طال أسره وعاد ليمارس نفس العمل الحربى السابق تتوافر لديه رغبة للثأر مختزنة بطول مدة أسره، وهو ما يفترض حدوثه لدى ذلك الأمير الصليبى.

ومن المهم هنا إدراك أن ذلك الفارس الصليبى عندما خرج من سجنه تصور أن المنطقة لم تتغيّر، وأنها مثلما كانت عند أسره دوّن ملاحظة توحيد الجبهة الإسلامية تحت راية الأيوبيين، والأمر المرجح، أن تلك العملية الحربية البحرية تم الإعداد لها بدقة وتآمر ودهاء من أجل ضمان نجاحها، ولذلك أعدّ إرناط سفناً وحشدها بالمقاتلين الأشدّاء خاصة من عناصر فرسان الإسبتارية hospitallers (فرسان المستشفى الصليبيين) وفرسان المعبد templars (فرسان المعبد الصليبيين)، واختار الإبحار فى البحر الأحمر مستغلاً الرياح الموسمية التى تتحرّك السفن فيه من الشمال صوب الجنوب، وقد تم نقل تلك القطع البحرية على ظهور الإبل مسافة (١٢٥ كم) بحراسة نحو (٣٠٠) من عناصر البدو-العملاء المرتزقة- وأعيد تركيبها على ساحل خليج العقبة[٢١]، وكل ذلك يؤكد لنا حجم الجهود الكبير والآمال العريضة التى عُلّقت على تلك العملية.

لقد قسّم إرناط قواته على أساس أن تتم مهاجمة جزيرة فرعون لإحتلالها، كذلك اتجه إلى محاصرة إيلة، وسار قسم آخر جنوباً لغزو الحجاز للوصول إلى المدينة المنوّرة، وقد توافرت لديه معلومات دقيقة عن كافة تلك المواقع الجغرافية.

والأمر المؤكّد أن مثل تلك العملية دلّت على أن المخابرات الصليبية[٢٢] استطاعت الحصول على معلومات كافية عن تلك المناطق المستهدفة بغض النظر عن النتيجة الختامية لذلك الأمر، وساعدها على ذلك؛ وجود ضعاف النفوس من عناصر البدو الخائنين الذين أُمكن شراؤهم بالمال، وبالتالى فإنها توصف بكونها عملية مخابرات فى الأصل، وكان سلاح المعلومات فيها هو أهم الأسلحة.

بصفة عامة، هناك من يقرر أن محطات إرناط خلال تلك العملية تمثلت فى خليج العقبة، ثم السواحل الشرقية للبحر الأحمر حيث تم إشعال النيران فى السفن الراسية فى الحوراء وينبع، وهما مينائى المدينة المنورة، ثم تم التوغّل جنوباً حتى رابغ من موانىء مكة، وتم إغراق عدد من السفن كان الحجاج يستقلونها ويتجهون منها إلى جدة[٢٣]، كما تم مهاجمة عيذاب التى عُدّت ميناء الحج إلى الحجاز، وكان لها دورها البارز فى حركة التجارة أيضاً فى ذلك العصر؛ وبالتالى، وصل الصليبيون إلى أبعد نقطة جنوبية فى توسعاتهم على مدى القرنين ١٢، ١٣م، وبصورة لم تحدث من قبل على مدى نحو (٨٥) عاماً من تاريخ وجودهم على أرض الشرق على نحو دلّ على تدرجّ تحركات الصليبيين العسكرية وتناميها مرحلة بعد أخرى.

وبالفعل هاجم عيذاب؛ وهناك من يرى أن هجومه عليها يدل على التخبّط فى اختيار الأهداف العسكرية، وربما الجهل بجغرافية البحر الأحمر[٢٤]؛ وللرد على ذلك التصوّر علينا ملاحظة التالى:

أولاً: كان الهجوم على عيذاب أمراً مهماً من أجل تشتيت جهد الدولة الأيوبية بين ضفتىّ البحر الأحمر، على نحو يكسب معه الوقت، وبالتالى يحقق الأهداف التى أرادها من جراء تلك العملية العسكرية؛ وكذلك، فإنالهجوم عليها يؤكد قدرة الصليبيين على ضرب الدولة الأيوبية فى نصفها الجنوبى: مصر.

ثانياً: من المستبعد تماماً أن يقوم ذلك الفارس الصليبى مدعوماً بإمكانات مملكة الصليبيين على مثل تلك العملية وهو على غير علم بجغرافية البحر الأحمر، بل المرجح أنه أنفق شهوراً طويلة فى جمع المعلومات اللازمة، وكذلك إعداد الأسطول اللازم لذلك.

ثالثاً: كان من بين أهداف إرناط لمهاجمة عيذاب، السلب والنهب، فقد سيطر الصليبيون بالفعل هناك على مركب كان ينقل الحجاج المسلمين من جدّة، كما

تم إخضاع قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب[٢٥]، وتم الفتك بالجميع، كذلك، سلب الصليبيون مركبين بهما بضائع تم جلبها من اليمن، كما نهبت مواد غذائية كانت مخصصة للحرمين الشريفين[٢٦]، ولا شكّ فى أن ذلك كلّه؛ دلّ على أن قوّة الصليبيين الغاشمة وَضعت مكانة الدولة الأيوبية فى اختبار قاس غير مسبوق منذ أن قامت على أنقاض الفاطميين عام ١١٧١م.

بصفة عامة، كان الصليبيون على مسيرة يوم واحد من الوصول إلى المدينة المنورة وأرسل صلاح الدين إلى شقيقه العادل أبو بكر بمصر، يطلب منه التدخّل السريع لمواجهة الموقف، وبالفعل، ظهر دور بطولى للأسطول الأيوبى بقيادة حسام الدين لؤلؤ، وأمكن مهاجمة الصليبيين، ولاذ عدد منهم بالفرار، وعلى رأسهم إرناط إلى الكرك؛ وتم أسر العديدين، ولدينا رؤية شاهد عيان فى صورة الرحالة الأندلسى ابن جبير، عندما دخل مدينة الإسكندرية وشاهد التشهير بالأسرى الصليبيين عام ١١٨٣م[٢٧]، مع ملاحظة أنه تم نحر اثنين من الأسرى فى منى فى موسم الحج، كى يكونوا عبرة لغيرهم، وحتى لا يدلّوا أحداً من الصليبيين على الطريق الذى سلكوه للوصول إلى هناك.

وعلى الرغم من الفشل المبين الذى نُكبت به حملة إرناط الغادرة على الحجاز عام ١١٨٢م، إلا أنها تركت عدة نتائج على جانب كبير من الأهمية يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً: تأكّد لنا على نحو واضح تنامى الأطماع الصليبية فى المنطقة، والفارق بين الهدف المعلن الذى تحدّث عنه البابا أوربان الثانى (urban ii ١٠٨٩-١٠٩٩م) فى مجمّع كليرمونت clermont فى ٢٧ نوفمبر١٠٩٥م[٢٩] عندما تحدّث فقط عن الأرض المقدسة فى فلسطين، واستعادة بيت المقدس من سيطرة المسلمين، بينما واقعياً وعملياً كان للصليبيين أهدافهم العديدة فى صورة

السيطرة الإقتصادية على المنطقة ومحاربة الإسلام فى عقر داره وفرض مشروع معدّ سلفاً للتنصير وتحويل المسلمين إلى تابعين لكنيسة روما الكاثوليكية باعتبارها سيدة الكنائس،والأمر المؤكد أن مطامعهم ما كان لها حدّ.

ثانياً:من الممكن القول بأن الحركة الصليبية كانت تتعدد وتتوسع وفق مقتضيات الأحوال ووفق مصالحها العليا، وأن الغزاة خاضوا غمار تجارب جديدة؛ فها هو البحر الأحمرالذى ما عُهد فيه صليبيون من قبل، يدخل فى نطاق الأطماع الصليبية، ولم يعُد الأمر قاصراً على البحر المتوسط فقط؛ وكل ذلك بجلاء على أن الحركة المذكورة كانت تتحول وتتلوّن فى سبيل تحقيق أكبر قدر من الأطماع التى هندست لها البابوية وكذلك القوى الإستعمارية الأوروبية فى ذلك العصر، مستغلة أية ثغرات أمنية لدى المسلمين يمكن النفاذ من خلالها.

ثالثاً: أكد دخول عيذاب فى دائرة العمليات الحربية الصليبية عام ١١٨٢م، لنا أنها أبعد نقطة جنوبية فى توسعات الصليبيين، وهو أمر لا ينفصل عن أطماعهم الحثيثة فى تطوير إمكاناتهم، ومحاولة الخروج خارج نطاق "الشرنقة الشامية" التى حُبسوا فيها على مدى زمنى طويل، إلا أن ذلك الأمر خفق تماماً، وتأكّد لنا بالفعل أن الصليبيين نجحوا آسيوياً وفشلوا إفريقياً[٣٠]، سواءً من خلال حملة بلدوين الأول (١١٠٠- ١١١٨م) على مصر عام ١١١٨م- على الرغم من طبيعتها الإستكشافية- وحملات الملك عمورى(١١٦٣- ١١٧٤م) على مصر، والآن جاءت حملة الفارس الصليبى إرناط عام ١١٨٢م، كى تضمّ فشلاً جديداً إلى المحاولات الصليبية السابقة للتوسع فى النطاق الأفريقى فى القسم الشمالى الشرقى للقارة فى صورة مصر، أو من خلال سواحلها الجنوبية المطلة على البحر الأحمر.

بصفة عامة، إذا ما قارنّا بين حملة إرناط على الحجاز وهجومه على عيذاب عام ١١٨٢م، وحملة بلدوين الأول على مصر عام ١١١٨م، نجد أن حملة بلدوين كانت موجهة أصلاً صوب مصر، وكانت ذات طابع استكشافى، وإن وصلت إلى مصب نهر النيل فى دمياط لأول مرة فى تاريخ الصليبيين منذ أن وصلوا إلى بلاد الشام، وإن كانت هذه الحملة مقدّمة للأطماع الصليبية صوب النطاق الإفريقى، أما حملة إرناط على عيذاب فكانت جزءاً فرعياً من حملته الأصلية على الحجاز، وإن كانت جديدة على المنطقة التى لم تكن أصلاً هدفاً سابقاً للصليبيين، مع ملاحظة الفارق بين (حملة بلدوين ١١١٨م، وإرناط ١١٨٢م) حيث تزايدت معارف الصليبيين عن مصر فى الحملة الأخيرة، وامتلكوا قاعدة معلومات كبيرة عنها على نحو يسمح لهم بمثل ذلك التخطيط والأعداد والتنفيذ لعملية بحرية تستهدف الحجاز من ناحية، ومهاجمة منطقة طرفية حدودية جنوبية كما فى حالة عيذاب، وكانت القيادة الصليبية تعلم جيدا أنها غير مسلحة من جانب الأيوبيين الذين لم يتوقعوا هجوماً عليها، نظراً لإبتعادها عن مسرح الأحداث الأصلى فى بلاد الشام.

ولدينا الآن، تساؤل يتمثّل فى الآتى، هل كانت عملية مهاجمة عيذاب مجرد عملية عسكرية محدودة من أجل تشتيت جهود الأيوبيين بين ضفتى البحر الأحمر؟ أم أنها كانت تحوى أهدافاً أخرى؟، والواقع أن تسلسل الأحداث يُعطى انطباعاً مفاده أن الصليبيين على مدى تاريخهم كانوا يحققون عدة أهداف من وراء أى تحرك عسكرى يتجهون إليه، وبالتالى فمن المفترض أن إرناط ومن ورائه مملكة بيت المقدس الصليبية أراد إشعار الأحباش بقوته، وأن الصليبيين ذراعهم طويلة على نحو مكّنهم من الوصول إلى ذلك العمق الأيوبى الجنوبى، كما أنه أراد إيصال تحدّى للعالم الإسلامى من خلال مهاجمة المدينة المنورة، وفى نفس الحين اكتساب شعبية ودعاية أكبر فى أوروبا من وراء ذلك التحرّك العسكرى.

وإذا تساءلنا من الرابح ومن الخاسر من وراء تلك العملية البرية البحرية على ضفتى البحر الأحمر، الصليبيون أم الأيوبيون، سنجد أن إرناط ربح دعائياً، وإن فشلت عمليته عسكرياً، إلا أن صلاح الدين الأيوبى استغل ذلك كلّه للدعاية له لدى العباسيين، وظهر بمظهر حامى الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز، وذلك نلاحظه بجلاء من خلال إحتفاء واهتمام المصادر المعاصرة الأيوبية، بالإشارة لتلك الواقعة، كما أن علينا إدراك أن ذلك السلطان الأيوبى أدرك أكثر من أى وقت مضى خطورة إرناط، ولذلك لم يكن غريباً علينا أن ذلك السلطان الأيوبى أدرك أكثر من أى وقت مدى خطورة إرناط، ولذلك لم يكن غريباً بعد انقضاء (٥) أعوام فقط من تلك الواقعة، أن فتك به فى ظروف معركة حطين فى ٤ يوليو[٣١] عام ١١٨٧م، وبالتالى سقطت من على مسرح الأحداث شخصية قيادية صليبية مندفعة ومتهورة حرّكتها عقدة الأسر فى سجون المسلمين وشاركت فى إلحاق الهزيمة بالأيوبيين فى معركة الرملة عام ١١٧٧م، وعملية البحر الأحمر عام ١١٨٢م، التى لحقت فيها الهزيمة بالصليبيين.

بصفة عامة، نجد أن مثلث التوسعات الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٧م إلى ١٢٢٧١م، أو على مدى (١٩٤) عاماً تمثلت زاويتان منه فى الرُها عام ١٠٩٧م، كأقصى توسع شرقى، وعيذاب عام ١١٨٢م كأقصى توسع جنوبى.

أما الزاوية الثالثة، فقد تمثلت فى تونس ذات الموقع الإستراتيجى الفريد فى الشمال الإفريقى، وفى مقابل إيطاليا، ومن خلالها تطلّ على البحر المتوسط، وهى نافذة إفريقية فى مقابل القارة الأوروبية، خاصة قسمها الجنوبى، وكانت حلقة وصل بين تجارة أفريقيا ما وراء الصحراء، وعالم البحر المتوسط[٣٢]، كما كانت حلقة وصل أخرى بين مصر والمغرب الأقصى، ومن الممكن الهجوم الصليبى عليها ليتم التوسع شرقاً صوب حاضرة نهر النيل، مصر، هدف الصليبيين الكبير.

تجدر الإشارة إلى أن المنصرين الفرنسيين أوهموا صناع القرار فى باريس أنه من الممكن تحويل حاكم تونس، أبو عبدالله المستنصر الحفصى (١٢٤٩-١٢٧٧م) إلى المسيحية الكاثوليكية، وبالتالى يمكن تحويل أهل تونس هم أيضاً، متصورين أن تسامح ذلك الحاكم مع التجار الفرنسيين سيؤدى بالضرورة إلى الإرتداد عن الإسلام.

والواقع أن منطقة بتلك الأهمية الإستراتيجية والإقتصادية ما كان من الممكن أن تغيب عن مطامع الصليبيين، ولذلك وضعوها فى بؤرة توسعاتهم؛ وكان موعد الأطماع الصليبية نحو تونس فى عام ١٢٧٠م، عندما قام بغزوها ملك فرنسا لويس التاسع[٣٣] louis ix (١٢٢٦- ١٢٧٠م) الذى قاد من قبل حملة فاشلة على مصر عام ١٢٥٠م، وأُسر فى دار القاضى ابن لقمان فى المنصورة، وقد حرّكته هو الآخر عقدة الأسر والتى من المفترض أنها كانت تساوره على مدى (٢٠) عاماً، وعلى مدى الأعوام من ١٢٥٠م، ١٢٧٠م، خاصة أنه تعرّض لمهانة شخصية باعتباره ملكاً لفرنسا، على نحو لم يحدث لأى ملك فرنسى سابق.

وإلى جانب الدافع الشخصى المذكور، هناك الرغبة فى مهاجمة مصر من الغرب خلال الهجوم على تونس، واتخاذها قنطرة لمهاجمة حاضرة النيل بعد اجتياز الصحراء الليبية، كذلك هناك الرغبة فى إيجاد مثلث تجارى ما بين تونس، وصقلية، وميناء مرسيليا بجنوبى فرنسا على البحر المتوسط، وفى نفس الحين، دعم نفوذ أسرة آل كابيه capet التى أرادت تكوين أملاك لها فى الشرق، سواء فى شرقى البحر المتوسط levant أو فى غربه، ويتجه المؤرخون الفرنسيون إلى إبراز الجانب الدينى لدى لويس التاسع تأثراً بالرؤية الجوانفيلية حيث نظر إليه مؤرخ سيرته جان دى جوانفيل jean de joinville على أنه "قديس"؛ ومع ذلك علينا الفكاك من تلك الرؤية المنحازة، خاصة أن التاريخ يتحرك عموماً من خلال جملة دوافع وليس من خلال دافع واحد يرتبط بشخص لويس التاسع الذى لم يكن فى توسعاته قديساً بل كان سياسياً داهية

يتحرك صوب المكاسب السياسية والإقتصادية؛ ولا نغفل ملاحظة أنه الملك الفرنسى الوحيد الذى قاد حملتين على الشرق من ملوك أسرة آل كابيه، وكان مصيرهما الفشل المبين.

ولست فى حاجة إلى تكرار ما هو معروف عن وقائع تلك الحملة الفرنسية على تونس عام ١٢٧٠م، إذ تناولتها العديد من الدراسات؛ وقد إنتهت بالإخفاق وموت لويس التاسع على أرض تونس فى ٢٥ أغسطس ١٢٧٠م، وتم توقيع اتفاق بين الصليبيين والحفصيين حكام تونس حينذاك فى صورة المستنصر الحفصى الذى قد توهّم لويس التاسع إمكانية تنصيره دون جدوى، إذ وقف مؤيداً الجهاد ضد الغزاة.

لقد نتج عن حملة لويس التاسع على تونس؛ التأكيد على أن الصليبيات فى القرن ١٣م، وفى النصف الثانى منه تحركت صوب الناحية الإقتصادية والرغبة المستعرّة فى توسيع رقعة الأملاك الفرنسية فى عالم البحر المتوسط، كما تأكّد عجز الصليبيين عن حلّ عُقدة تاريخ الصليبيين المستحكمة، والتى سبقْت الإشارة إليها فى صورة محاولة الخروج من الشرنقة الشامية، بالتوسّع فى إفريقيا دون جدوى.

وإذا ما قارنّا بين زوايا ذلك المثلث (الرها–عيذاب — تونس)، نجد أن هناك عوامل متشابهة و مختلفة بينها، ويمكن إبراز ذلك فى الآتى:

أولا": من الملاحظ أن إخضاع الرها وتكوين إمارة صليبية بها، وكذلك الهجوم على عيذاب وتونس، كل ذلك تم من خلال قيادات فرنسية سواءً بلدوين البويونى، ورينو شاتيون، ولويس التاسع على نحو يؤكد قيادة فرنسا للمشروع الصليبى، وبصورة تؤكد على أن فرنساهى أم الصليبيات، ولذلك لا يُكتب تاريخ تلك الظاهرة البارزة فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بدون دورها البارز، مع عدم إغفال دور قوى أخرى مثل انجلترا، وألمانيا، والمدن

الإيطالية مثل جنوة، وبيزا، والبندقية إلا أن الدور الفرنسى كان ريادياً بصفة عامة.

ثانياً: إمتازت المناطق الثلاث بأهمية موقعها الإستراتيجى، واتفقت فى زاوية التجارة سواءً الحرير فى الرها، والتوابل فى عيذاب، وكافة السلع التجارية التى عملت بها تونس، مع عدم إغفال أن أركان التجارة فى العصور، منها الرقيق، والذهب، والتوابل، وبصورة تؤكد على أن الحركة الصليبية كان لعابها سرعان ما يسيل أمام المكاسب الإقتصادية، وأن تاريخ الصليبيات لا يمكن أن يُكتب بدون الدافع الإقتصادى، وعلى نحو خاص التجارة والمدن التجارية الإيطالية خير دليل على ذلك.

ثالثاً: توزعت السيطرة الصليبية ومحاولتها على المناطق الثلاث المذكورة زمنياً بين نهاية القرن ١١م، والقرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر، وهو أمر يدلّ على امتداد الحركة الصليبية وتوزعها على نطاق زمنى طويل و ممتدّ، والأمر المؤكد أن الأربعة أعوام الواقعة بين عامى ١٠٩٥م- وهو عام الدعوة للمشروع الصليبى فى كليرمونت- وعام ١٠٩٩م، وهو عام سقوط بيت المقدس فى أيدى الصليبيين، وبينهما تأسيس إمارتى الرها عام ١٠٩٧م، وأنطاكية عام ١٠٩٨م، كان لها تأثيرها العميق على مجريات الأحداث على مدى القرنين ١٢، ١٣م.

رابعاً: اختلفت الرها من خلال أنها كانت منطقة داخلية فى صورة الجزيرة الفراتية الحيوية، ووجد بها أنهار مثل الفرات والبليخ، بينما كانت عيذاب فى صحراء قاحلة لا ماء فيها وواقعة على واجهة بحرية على البحر الأحمر، ووقعت تونس على البحر المتوسط، ودلّ ذلك على تنوع تاريخ الحروب الصليبية بين يابس وبحر، مع ملاحظة أن الصليبيين حرصوا على امتداد حدودهم بوطنهم الأم فى

الغرب الأوروبى، ولذلك أنفقوا (٥٤) عاماً من تاريخهم، وتحديداً من ١١٠٠م إلى ١١٥٣م، أى نحو ربع أعوام القرنين ١٢، ١٣م من أجل إخضاع الساحل الشامى[٣٤] الممتدّ من سان سيمون ميناء أنطاكية فى الشمال إلى غزة جنوباً؛ ومن المهم هنا، ملاحظة أن تجارة الرها ذاتها كانت تمتد إلى أنطاكية المجاورة لها، وتم تصريف منتجاتها عبر ميناء سان سيمون إلى عالم البحر المتوسط المتّسع، وبالتالى عوّضت افتقادها لنافذة بحرية من خلال إمارة أنطاكية الواقعة إلى الغرب منها، والمنافسة اللدودة لها.

خامساً: إتفقت الرها وعيذاب فى زاوية اتصالهما بالهند من خلال تجارة التوابل على نحو خاص، حيث كانت القوافل البحرية تسلك طريق الخليج العربى ومنه إلى جنوبى العراق، ووسطه، وشماله وصولاً إلى الموصل، ومنها تمرّ إلى الرها ثم أنطاكية فالبحر المتوسط، وبالتالى كانت منتجات جنوبى آسيا، وخاصة الهند بمثابة "العمق التجاري الإستراتيجى" للرها، مع عدم إغفال طريق الحرير السالف الذكر بطبيعة الحال، أما عيذاب فإن تجارة التوابل قَدمَت إليها من الهند هى الأخرى؛ بينما ذلك الأمر لم يكن وارداً بالنسبة لتونس بنفس الدرجة التى كانت نافذة لتجارة أفريقيا ما وراء الصحراء المزدهرة، وكانت حلقة اتصال بين ذلك النطاق وتجارة عالم البحر المتوسط المزدهرة خاصة خلال ما عُرف بالثورة التجارية[٣٥] The Commercial Revolution فى العصور الوسطى (٩٥٠- ١٣٥٠م)، و المؤكد أن تجارة تونس كانت أفريقية أوروبية أكثر من كونها آسيوية.

سادساً: وُجدت اختلافات بين الزوايا الثلاث للمثلث السالف الذكر (الرها- عيذاب- تونس) إذ إحتوت إمارة الرها على عدد من المدن المهمة مثل: الرها، وسروج، وتل باشر، ودلوك، وكيسوم، وبهسنا؛ ونفس الأمر بالنسبة لتونس،

التى احتوت على مدن مثل: قابس، وسوسه، وبنزرت، وصفاقس، وجزيرة جربة؛ أما عيذاب، فكانت توصف بأنها ميناء صغير لم يكن قد نال قسطاً من التحضّر كبير عندما هوجمت من جانب قوات إرناط الصليبية؛ من جهة أخرى، نلاحظ أن الرها احتوت على إمارة صليبية امتدّت من ١٠٩٧م إلى ١١٤٤م أى على مدى (٤٨) عاماً، أما الحملة الصليبية على تونس، فلم تستغرق سوى شهور قليلة، ونفس الأمر بالنسبة للهجوم على عيذاب الذى لم يستغرق سوى فترة وجيزة.

سابعاً: تنوع الموقع الجغرافى لكل من العناصر الثلاثة للمثلث المذكور، فالرها وقعت ضمن قارة آسيا، أما عيذاب وتونس، فكانتا ضمن قارة أفريقيا؛ ولا نغفل أن الصليبيين قدموا من الغرب الأوروبى، وبالتالى، فإن الحركة الصليبية ذاتها تعدّ صراعاً قارياً، ورغبة فى فرض هيمنة فرنسا- وهى زعيمة أوروبا فى العصر الوسيط- على حساب قارتى آسيا وأفريقيا، دون إغفال عناصر المنافسة الأخرى مع انجلترا، وألمانيا بطبيعة الحال.

من جهة أخرى، يلاحظ أن تونس وعيذاب إتصلتا معاً من خلال حركة الحج المغربى إلى الحجاز، حيث تدفّق الحجاج المغاربة القادمون من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، نحو مصر، ومنها إلى ميناء عيذاب للذهاب إلى الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز، كذلك تدفّقت السلع التجارية من عيذاب إلى الإسكندرية، ومنها إلى تونس من خلال الطريق الساحلى.

بصفة عامة، فشلت محاولات الصليبيين للإحتفاظ بعناصر المثلث المذكور: الرُها، عيذاب، تونس، وانهار المشروع الصليبى فى مرحلته الواقعة عبر القرنين ١٢، ١٣م، ليتّخذ من بعد ذلك أشكالاً وصوراً أخرى تتفق مع تطوّر العلاقات بين الشرق والغرب فى العصر الوسيط[٣٦].

خلص البحث إلى عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً: أكّد العرض السابق على حقيقة دوافع المشروع الصليبى، وأن توسعات الغزاة منذ البواكير الأولى لتاريخهم فى منطقة الشرق الأدنى، كانت من خلال الرغبة فى السيطرة على خطوط التجارة الدولية، لاسيما فيما يتصل بالتوابل التى كان العالم يلهث وراءها فى العصور الوسطى حيث احتاجتها الأسواق الأوروبية غاية الإحتياج من أجل حفظ الأسماك، إستعداداً لمواسم الصيام عند المسيحيين؛ والممكن القول أنه من العسير كتابة تاريخ الصليبيين فى الشرق دون التجارة، ودلّ ذلك على أن المعلن من دوافع تلك الحركة يُخالف الواقع التاريخى، فما قامت الحركة الصليبية من أجل إستعادة بيت المقدس من السيادة الإسلاميةفقط، بل من أجل النهب المنظّم لثروات الشرق على حساب أبنائه الأصليين من المسلمين والمسيحيين الشرقيين.

ثانياً: أوضحت الصفحات السابقة أن الرها كانت أقصى توسعات للصليبيين شرقاً، كما أن عيذاب كانت أقصى توسّع لهم فى جهة الجنوب، أما تونس فكانت التوسع الأبعد غرباً، وما كان ذلك على نحو عشوائى أو بمحضّ المصادقة بل من خلال تخطيط وتآمر عميقين، وقد تم عقد مقارنة بين المراكز الثلاثة المذكورة، ويلاحظ هنا أن ذلك يُثبت لنا محاولة الصليبيين الملحّة من أجل الخروج من "الشرنقة الشامية" التى أكّدت أن الغزاة نجحوا آسيوياً وفشلوا أفريقياً، وتلك عقدة تاريخهم المستحكمة التى لم يجدوا لها حلاً على الرغم من كافة الإمكانات المادية والبشريةالتى رُصدت لدعم المشروع المذكور وعجزوا عن حلّها على مدى عقود عديدة من تاريخ وجودهم فى المنطقة.

ثالثاً: لم يكتب للتوسعات الثلاثة الإستمرار، على الرغم من أن نقطة الشرق "الرها"، دامت نحو (٤٨) عاماً؛ وكانت أطول المناطق النائية فى توسعات الصليبيين

إستمراراً، ولم يتمكن الصليبيون من الحفاظ على عيذاب وتونس، إلا لمدة وجيزة، ولا تعليل لذلك سوى يقظة حركة الجهاد الإسلامى وقادتها الذين قاوموا الغزو الصليبى؛ وفى هذا المجال نذكر قيادات بارزة فى صورة عماد الدين زنكى،ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبى، وحسام الدين لؤلؤ،والمستنصر الحفصى، دون أن نغفل دور الشعوب التى وقفت بجوار قادتها تدعمهم بكل ما لديها من إمكانات، حتى لا نختزل تاريخ الصراع الإسلامى-الصليبى فى القيادات، ونغفل دور الشعوب التى كان لها القدح الأعلى، وعاد الوجود الصليبى إلى رقعته الجغرافية المحدودة فى بلاد الشام وسط محيط إسلامى شاسع المساحة جغرافياً وكثيف من حيث حجم السكان، إلى أن تم طرد الصليبيين نهائياً من عكا عام ١٢٩١م، بفضل جهاد المماليك الذين وصفهم ابن واصل بأنهم داوية الإسلام.

رابعاً: أكّد البحث على التاريخ البحرى للحركة الصليبية، ويلاحظ هنا عدم اقتصارها على البحر المتوسط الذى توسّط قارات العالم القديم والوسيط، بل هناك دور للبحر الأحمر كما اتضح من خلال حملة إرناط عبره، ومهاجمة الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز، ولا نغفل هنا ملاحظة وجود بحر آخر فى تاريخ تلك الحركة التاريخية البارزة فى عالم العصور الوسطى، فى صورة بحر البلطيق[٣٧]، فى القرن الثالث عشر الميلادى، حيث شنّت البابوية حملة صليبية هناك من خلال عناصر فرسان التيتون، ضد من اعتبرتهم هراطقة، على نحو أكّد أن البابوية وجّهت الصليبيات من أجل تحقيق أهدافها، سواء ضد المسلمين أو ضد من خالفها التوجّهات الدينية على الأرض الأوروبية ذاتها.

خامساً: أكّدت الصفحات السابقة على ضرورة الإهتمام بالتحليل النفسى لأحداث عصر الحروب الصليبية التى لا يمكن فصلها عن باقى الدوافع المحركة لها؛ ولا

ريب فى أن عُقدة الأسر لكل من إرناط الذى مكث فى أسر المسلمين نحو (١٦) عاماً، وكذلك أسر الملك لويس التاسع على النحو الذى كان فى دار ابن لقمان، جعل كلاً منهما برغب بشدة فى الإنتقام، فكانت الحملة على الحجاز، والحملة على تونس، على الرغم ما فى الأولى من مغامرة ومخاطرة، وما فى الثانية من إندفاع، على نحو جعل جان دى جوانفيل نفسه ينصح ذلك الملك بعدم الإقدام عليها، دون جدوى، مع عدم إغفال الدوافع الأخرى السياسية والإقتصادية والتنصيرية بطبيعة الحال.

سادساً: من الملاحظ أن فشل الصليبيين فى إخضاع أو استمرار السيطرة على الرها، وعيذاب، وتونس لم يكن ذلك هو فشلهم الوحيد على مدى المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٩٧م، ١٢٩١م، أى على مدى ما زاد على القرنين من عمر الزمان، فلا نغفل وجود فشل آخر فى صورة العجز عن إخضاع مدينتى دمشق فى بلاد الشام والقاهرة فى مصر، وهما مفتاحا "الشامصر" وهى تلك الرابطة الجغرافية والتاريخية بين بلاد الشام ومصر عبر عصور التاريخ، ومن المقرر أنه فى حالة نجاح الغزاة فى إخضاع المدينتين المحوريتين المذكورتين، لتغيّر تاريخ الصراع الصليبى–الإسلامى بدرجة كبيرة، إلا أن ذلك لم يحدث بفضل فعاليات حركة الجهاد الإسلامى واستشراء الخلافات الصليبية– الصليبية على الرغم من دعم الغرب للمشروع الصليبى.

وهكذا يتأكّد لنا أن النجاح لم يحالف الصليبيين بدرجة كاملة على مدى تاريخهم، وجاء عجزهم عن الاستمرار فى السيطرة على الرها، وإخضاع عيذاب لتكون نقطة انطلاق لما هو أبعد فى نطاق البحر الأحمر، ثم تونس، ليؤكد ذلك كله عودتهم إلى النطاق الشامى الطولى المعتاد.

سابعاً: لعل من أهم النتائج التى يمكن الخروج بها من الصفحات السابقة، التأكيد على أن الحركة الصليبية كانت ديناميكية وتُطور نفسها قدر استطاعة الصليبيين، وبالتالى فإن تصوّر الركود والخمول على تاريخ الصليبيين أمرٌ جانبه الصواب؛ وقد ارتبط نشاطهم بحجم المعلومات التى حصلوا عليها عن المسلمين، فكلما تطورت معلوماتهم الجغرافية عن مناطق أعدائهم، وكذلك كلما زادت أطماعهم الإستعمارية (أى الإستدمارية)، كلما ظهر إلى الوجود محاولات توسعهم الخارجى؛ وعلينا عدم استصغار بعض المناطق التى سعوا إلى احتلالها، لأنهم فى حالة نجاحهم كانت نقاط إرتكاز لأهداف أبعد وأخطر.

ذلك عرض عن أقصى حدود التوسعات الصليبية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٩٧م، ١٢٩١٠م فى صورة الرها، وعيذاب، وتونس.

obeikandl.com

الهوامش

(١)عن إمارة الرها أنظر:

علية الجنزورى، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٦م، أفضل دراسة باللغة العربية فى موضوعها، أعدّتها المؤرخة المصرية الرائدة فى كل من التاريخ البيزنطى وتاريخ الحروب الصليبية، محمود الرويضى، إمارة الرُها الصليبية ١٠٩٧م- ١١٥١م / ٤٩٠هـ- ٥٤٦هـ، ط. عمان ٢٠٠٢م

J. B. Segal, Edessa, The Blessed City, Oxford 1970

R.L. Nicholson, Jocelyn I, Prince of Edessa, Urban 1954, Id,

Jocelyn III and the Fall of The Crusade States 1134-1199, Leiden 1973

C. Alptekin, The Reign of Zangi, (521- 541 / 1127-1146), Ataturk University, Erzurum 1978 و Gibb, "Zengi and the Fall of Edessa" , Setton, A History of the Crusader, vol. I, Wisconson 1989, pp. 449- 462

عماد الدين خليل، عماد الدين زنكى، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص١٥١- ص ١٥٣، على الصلابى، السلطان الشهيد عماد الدين زنكى، ط. بيروت ٢٠١٠م، ص ٢٩- ص ٣١، شاكر أبو بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ط. بيروت ١٩٧٢م، ص ١٤٧،

(٢) عن إمارة أنطاكية الصليبية أنظر:

C. Cahen, La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris 1940

أفضل دراسة عن إمارة أنطاكية لا تزال تحتفظ بقيمتها العلمية البارزة بعد ما زاد على (٧٠) عاماً من صدورها.

حسين عطية، إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨- ١١٧١م/ ٤٩٢هـ- ٥٦٧هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية عام ١٩٨١م، نفسه، "إمارة أنطاكية والمسلمون"، ط. الإسكندرية ١٩٨٩م، كمال أمين محمد حسب الله، "إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨- ١٢٦٨م"، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م (دراسة علمية مهمة تناولت إمارة أنطاكية الصليبية منذ قيامها حتى سقوطها).

(٣)عن مملكة بيت المقدس الصليبية أنظر:

J. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, The European Colonialism in the Middle Ages, London 1972 Id, Crusader Institutions, Oxford 1980; J. Richard, "The Latin Kingdom of Jerusalem", Amsterdam 1979; T.F. Madden, A concise History of the Crusades, New York 1999, pp. 39- 63; J. La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, New York 1970

عمر كمال توفيق، "مملكة بيت المقدس الصليبية"، ط. الإسكندرية ١٩٥٨م، سعيد عاشور، "الحركة الصليبية صفحة مشرّفة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى"، ط. القاهرة ١٩٦٣م.جان ريتشارد، تكوين مملكة القدس اللاتينية، ضمن كتاب" الصراع الإسلامى- الفرنجى على فلسطين فى القرون الوسطى، تحرير هادية دجانى شكيل وبرهان الدجانى، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١٤٧- ص ١٧٩،هنادى السيد، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول ١١٠٠م- ١١١٨م/ ٤٩٤هـ- ٥١٢هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، (الكتاب فى الأصل رسالة ماجستير تحت إشرافى)، صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الثانى ١١١٨م- ١١٣١م/ ٥١٢هـ -٥٢٥هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، (الكتاب فى الأصل رسالة ماجستير تحت إشرافى)، حسين عطية، قوانين مملكة بيت المقدس فى ضوء

المصادر الصليبية، ط. الإسكندرية ب.ت. جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس الصليبية وعلاقاتها الخارجية ٥٨٧هـ-٦٩٠هـ/ ١١٩١م-١٢٩١م، رسالة دكتوراة غير منشورة- كلية الآداب، جامعة الزقازيق فرع بنها عام ١٩٨٩م، محمد فوزى رحيل، نهاية الصليبيين (فتح عكا ٦٤٨هـ- ٦٩٠هـ/ ١٢٥٠م- ١٢٩١م، ط. القاهرة ٢٠٠٩م (دراسة قيّمة لتلميذى النابه).

(٤)عن إمارة طرابلس الصليبية أنظر:

J. Richard, le Conte de Tripolis au dynaste de Toulousin, Paris 1945; M. Baldwin, Raymond III of Tripolis and the Fall of Jerusalem, Princeton 1936

عبد العزيز عبد الدايم، إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية ب.ت.، سليمان الخرابشة، نيابة طرابلس فى العصر المملوكى، ط. عمان ١٩٩٣م. نهى الجوهرى، إمارة طرابلس الصليبية فى القرن ١٣م، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، (الكتاب فى الأصل رسالة ماجستير تحت إشرافى من إعداد باحثة مصرية واعدة)، ٥) الرويضى، المرجع السابق، ص ٩٥

وعن موقع الرها أنظر:

Eucherius, Description of Jerusalem, Tr. A. Stewart, p.p.t.s., Vol. II, London 1892, p. 19 ; Silvia of Aquitaina, pilgrimage to the Holy Places, Tr. A. Stewart, p.p.t.s., Vol.II, London 1896, p.p. 34- 35

ابن حوقل، الرها صورة الأرض، ط. القاهرة ب.ت.، ص ٢٠٤، أبو الفداء،أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينو ودى سلامة، ط. باريس، ١٨٤٠م، ص ٢٧٦، ص ٢٧٧، مجهول، حدود العالم، من المشرق إلى المغرب، ت. يوسف الهادى، ط.

القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٦٣، يوسف بغدادى، "الرُها"، المشرق، العدد (٤) السنة (٨) عام ١٩٠٥م، ص١٧١، زبيدة عطا، الترك فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٩١، محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين فى الموصل وبلاد الشام، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص ٣٤- ص ٣٥، كمال بن مرس، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل و حلب)، ط . القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١١١- ص ١١٢.

(٦)نفسه، نفس الصفحة.

(٧)علية الجنزورى، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٨)نفسه، ص ٣٨٥ .

(٩) F.M. Hume, The Middle Ages, NewYork 1938, p 478

.

(١٠)عن طريق الحرير أنظر:

على أبو عساف، "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم"، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢)، العددان (٣٩، ٤٠) كانون الأول ١٩٩١م، ص ٧٢، ص ٨٢، عبد الرحمن حميده، طريق الحرير بين ابن بطوطه وماركو بولو، العدد المذكور، ص ٨٣- ص٩٥، محمد حرب فرزات، "حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام"، العدد المذكور، ص٩٦- ص ١١١، بشر زهدى، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل التجارية، العدد المذكور، ص ١١٩-ص ١٣٧، نعمان جبران، محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير (أسباب ونتائج)، العدد المذكور، ص ١٣٨- ص١٥٥، موريس لومبار، الإسلام فى مجده الأول، ت. اسماعيل العربى، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م، ص٢٧١- ص ٢٧٢، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٣٢٢، محمد عبد الحميد الحمد، حضارات طريق الحرير، ط. دمشق ٢٠٠٧م .

(١١) ابن حوقل، صورة الأرض، ط. القاهرة ب.ت. ص ٢٠٤، مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ت. يوسف الهادى، ط. القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٦٣، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ت. كوركيس عواد وبشير فرنسيس، ط. بيروت ١٩٨٥م، ص ١٣٥.

(١٢) كلود كاهن، الشرق والغرب فى زمن الحروب الصليبية، ت. أحمد الشيخ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٣٧.

(١٣)أفضل عرض لعوامل سقوط الرها تجده لدى:

علية الجنزورى، المرجع السابق، ص ٢٩٥- ص٣١٢. وعن سقوطها عام ١١٤٤م أنظر:

ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص ٢٧٩، ص ٢٨٠، ابن الأثير، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص ٦٦- ص ٦٩، العماد الأصفهانى، تاريخ دولة آل سلجوق، ط. القاهرة ١٩٠٠م، ص١٨٦، علية الجنزورى، إمارة الرُها الصليبيةن ص ٢٩٥- ص ٣١٢، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى-الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٦٥، نفسه، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩م- ٢٠٠٠م، ص١٦١، ١٦٢.

Alptekin, pp.64- 65.

(١٤) وليم الصورى، تاريخ الحروب الصليبية، ت. حسن حبشى، ط. القاهرة، ج.(٤)، ص ٦٩.

وعن عيذاب أنظر:

ناصر خسرو، سفرنامه، ت. يحى الخشاب، ط. القاهرة١٩٩٣م، ص ١٣٣، ابن جبير، الرحلة، ط. بيروت ٢٠٠٧م، ص٣٦- ص ٣٨، ياقوت، معجم البلدان، ط.

بـــيروت ب.ت.، ج٣، ص ٣٥١، ابـــو الفـــداء، تقـــويم البلـــدان، ص ١٣٠- ص١٣١،ابن مماتى، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط. القاهرة ١٩٤٣م، ص٣٢٥، المقريزى، الخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوى، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ج١، ص ٥٦٧ .

William of Tyre, Vol.II, p. 336.

أحمد دراج، "عيذاب"، مجلة نهضة افريقيا، العدد (٩)، يوليو ١٩٥٥م، ص ٥٣- ص٦٠، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت١٩٧٩م، ص ٨٠، صفاء حافظ، الموانى والثغور المصرية من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى، ط. القاهرة ١٩٨٦، ص ٣٧- ص٣٩، راشد البراوى، حالة مصر الإقتصادية فى عهد الفاطميين، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص٢٤٢ ،خالد العمايرة، موانىء البحر الأحمر وأثرها فى تجارة دولة المماليك ٦٤٨هـ- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠م- ١٥١٧م، دارة الملك عبد العزيز، ط. الرياض ١٤٢٨هـ، ص٦٢،راوية عبد الحميد حسانين، ميناء عيذاب و دوره في خدمة الحجاج المغاربة، ضمن كتاب البحر الأحمر عبر عصور التاريخ، ندوة اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٩٧- ص ١١١، حياة الحجي، الأهمية التاريخية لميناء عيذاب من منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إلي منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، الندوة المذكورة، ص ٨٣- ص ٩٢، فؤاد الدويكات، إقطاعية شرق الأردن فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢هـ-٥٨٣هـ/ ١٠٩٩م- ١١٨٧م، ط. إربد ٢٠٠٩م، ص ١١٨، حاشية ٣،

F.A.Peters, The Hajj, The Muslim Pilgrimage to Mecca and the Holy places, Princeton University, Princeton 1994, p. 92; S. Lane-poole, A History of Egypt in the Middle Ages, London 1925, p. 41, p. 155, p. 271;

دراسة على جانب كبيرمن الأهمية.

(١٥) عن رينو دى شاتيون أنظر:

William of Tyre, A history of deeds done beyond the sea, tr. E.A.Babcock, and A.C. Krey, Vol. II, New York, 1943, pp. 248- 414; Otto of St. Blasion, the third from the chronicle of Otto of St. Blasion, Thatcher, Source Book of Medieval History, New York 1903, pp. 229-230; Ernoul, Chronique d"Ernoul et Bernard le Tresprier, ed. L. Mas Latrie, Paris 1971, pp. 69-70; Cinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, Tr. Charles Brand, Columbia University 1976, p. 136; G. Schlumberger, Renauld de Chatillon, prince d'Antioch, Paris 1933; B.Hamilton, Reynald of Chatillon, The Elephant of Christ, S.C.H., Vol. 15, 1978, pp. 97- 108 ; Y. Friedman, Encounter between Ennemies of Captivity and Ransom in the Latin Kingdom of Jerusalem, Leiden 2002, pp. 85- 86.

محمود رزق محمود، العلاقات بين إرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى، حتى معركة حطّين١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م، برهان العابد، إرناط الفارس اللص، نشأته، حياته، غزواته، ودوره فى تهيئة الظروف لمعركة حطين، ندوة حطين بمناسبة ثمانية قرون على حطين، ط. دمشق ١٩٨٧م، ص١- ص٢٤،محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبى بين التاريخ والأسطورة، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٣٢،على أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمى عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩م-١١٨٧م/ ٤٩٢هـ- ٥٨٣هـ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٢٧- ص ٢٣٤.

(١٦)عن الحملة المذكورة أنظر:

أبو شامة، الروضتين، ط. القاهرة ب.ت.، ج٢، ص ٣٧، ابن متكلى، الأحكام الملوكية والضوابط النموسية فى فن القتال فى البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الديم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص ٨٥- ص ٨٦، مصطفى الحيارى، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤ ص ٢٥٣- ص ٢٥٥، يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ط. عمان ١٩٨٢م، ص ١٢٧ -ص ١٣٦، صالح درادكة، لمحات من تاريخ ايلة (العقبة) فى العصر الإسلامى، دراسات تاريخية، العددان (١٦)، (١٧)، كانون الثانى وآيار ١٩٨٤م، ص٨١- ٨٣، عثمان عشرى، الأسطول والبحرية فى عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب –جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ١١، حمدى محمد راجح، المحاولة الصليبية لغزو الحجاز فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية- جامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٨٥ (يُلاحظ أن المحاولة المذكورة لم تحدث فى نهاية القرن المذكور، بل عام ١١٨٢م)، سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص ١٠٥، سيده كاشف، صلاح الدين الأيوبى بطل وجدة الصف العربى، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٧٣- ص ٧٤، نظير حسّان سعداوى، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٨م ص ١٢٦، عرب دعكور، الدولة الأيوبية تاريخها السياسى والحضارى، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص٩٨، نفسه، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم، ط. بيروت ٢٠١١م، ص ١٧٠؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية ب.ت.، سليمان الخرابشة، نيابة طرابلس فى العصر المملوكى، ط. عمان ١٩٩٣م، حسن عبد الوهاب، مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب مقالات وبحوث فى التاريخ الإجتماعى للحروب

الصليبية، ط. الإسكندرية ١٩٩٧م، ص٢٠١- ص٢٠٦، سحر السيد سالم، فى دراسات من تاريخ مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ٢٢٣، على السيد على وقاسم عبده قاسم، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى والعسكرى، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٤٧، أحمد مختار العبادى، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ٤٨، على محمد الصلابى، قيام الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٣٣، عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٧٤،

L. Leiser, The Crusader Raid in the Red Sea 578 H/1182- 1183, J.A.R.C.E, 14, 1977, pp. 87-99 ; A. Ehrenkreutz, The place of Saladin in the Naval History of the Mediterranian Sea in the Middle Ages, J.A.O.S., Vol. 75, 1955 pp. 100- 115

(١٧) عن البحر الأحمر أنظر:

ابن جبير، المصدر السابق، ص ٣٦، ويسميه "بحر جدة" ،السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر فى التاريخ الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٩٣،عبد المنعم عبد الحليم، البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ط. الإسكندرية ١٩٩٣م، مجموعة من الباحثين، ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠،محمد مؤنس عوض، سندباد فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٨٣- ٨٤،أحمد حطيط، البحر الأحمر فى زمن صلاح الدين الأيوبى- مساهمة فى دراسة التاريخ الإقتصادى الإسلامى الوسيط، المؤرخ العربى، العدد (٦٠) عام ٢٠٠١م ص ٩٧.

(١٨) عن تجارة الكارم أنظر:

القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ط. القاهرة ب.ت.، ج ٣، ص ٥٢٤،صبحى لبيب، التجارة الكارمية فى تجارة مصر فى العصور الوسطى، المجلة

التاريخية المصرية، م(٤)، العدد (٢) عام ١٩٥٤م، ص ٥- ص ٥٣، نفسه، سياسة مصر الإقتصادية فى عهدى الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، م(٢٨)، (٢٩) عام ١٩٨١- ١٩٨٢م، ص ١٣٥- ص ١٣٩،عطية القوصى، أضواء جديدة على تجارة الكارمية، المجلة التاريخية المصرية م(٢٥)، عام ١٩٧٥م،
ص ١٧- ص ٣٣، الشاطر بصيلى، "الكارمية" المجلة التاريخية المصرية، م. (١٣) عام ١٩٧٥م،حسين ربيع، البحر الأحمر فى العصر الأيوبى، الندوة الدولية عن البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١١٥-
ص ١١٧،محمد عبد الغنى الأشقر، تجارة الكارم والكارمية فى مصر زمن سلاطين المماليك ٥٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م،

W. Fishel, The Spice Trade in Mamluk Egypt: a contribution to the economic history of Medieval Islam, J.E.S.H., 1950, pp. 157- 174

(١٩) عن بلدوين الرابع أنظر:

P. Aube, Baudouin IV de Jerusalem, Roi et Lepreu, Paris 1981; B. Hamilton, Baldwin IV, The Leper King and his Heirs, Cambridge 2000.

- (الدراسة الأخيرة أوفى وأشمل من الأولى) .

ياسر كامل، مملكة بيت المقدس فى عهد الملك بلدوين الرابع (١١٧٤م- ١١٨٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب=جامعة أسيوط عام ٢٠٠٩م، أفضل دراسة فى موضوعها باللغة العربية لتلميذى/ ياسر كامل، وقد عارض فيها تصورات المؤرخ البريطانى البارز، برنارد هاملتون.

(٢٠)عن دراسة نفسية الأسرى أنظر:

محمد شحاته ربيع، علم النفس الحربى، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٣٧١- ص٣٨٤، نفسه، علم النفس العسكرى، ط. عمان ٢٠١٠م ص٤٩٥- ص٥٠٣،

وعن علم النفس الحربى بصفة عامة أنظر:

R. Rieber, The Psychology of War and Peace, Plenum 1991

عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية الحرب والسلام، ط، الإسكندرية ٢٠٠٥م، ص ١٨٧- ص ٢٤٤، نفسه، القياس النفسى والعقلى فى القوات المسلحة، ط. الإسكندرية ٢٠٠٧م، ص ١٥، ص٣٩٣، نفسه، الحياة العسكرية من المنظور السيكولوجى، ط. الإسكندرية ٢٠٠٧م، ص ٣٥- ص ٣٠٦. ومن المهم الإفادة من هذه الدراسة الجادة:

فاطمة الشناوى، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧م- ١٢٩١م/ ٥٣١هـ- ٦٩١هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٧م.

(٢١)عبد الله الربيعى، "السياسة الصليبية تجاه البحر الأحمر من عام ٤٩٢هـ- ٥٨٤هـ/ ١٠٩٩م-١١٨٨م دراسة فى التاريخ العسكرى والإقتصادى"، الدارة، العدد (٣)، السنة (٢٩)، عام ١٤٢٤هـ، ص ١١٠.

(٢٢) عن ذلك أنظر:

محمد مؤنس عوض، "سلاح المعلومات ودوره فى تاريخ الصليبيين خلال المرحلة من ١٠٩٥م- ١١٨٧م"، مجلة بحوث الشرق الأوسط- مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس عدد (١٨)، عام ٢٠١١م .

(٢٣)على محمد الصلابى، قيام الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص٢٣٤، وعن الحج بصفة عامة أنظر هذه الدراسة الببليوغرافية الممتازة:

عبد العزيز السنيدى، معجم ما أُلّف عن الحج، تاريخه، مناسكه، تنظيمه، طرقه، الرحلات، دارة الملك عبد العزيز، ط. الرياض ١٤٢٣هـ.

(٢٤)عبد الله الربيعى، المرجع السابق، ص ١١٥.

(٢٥)أحمد مختار العبادى، المرجع السابق، ص ٥٠، وعن قوص أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ط. بيروت ب.ت.، ج٢، ص٤١٣

.C. Garcin, un centre Muslman de la Haute Egypte Medievale

:Qus , La Caire 1976.

و أنظر الترجمة العربية :

جارسان، إزدهار وانهيار حاضرة مصرية- قوص، ت. بشير السباعى، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

(٢٦)أحمد مختار العبادى، المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢٧)إبن جبير، الرحلة، ط. القاهرة ب.ت، ص ٤٥.

(٢٨)عبد الله الربيعى، المرجع السابق، ص ١١١.

(٢٩)عن خطاب البابا أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, Tr. Rita Riyan, Tennessee 1969, pp. 62- 67

- D. Munro, "The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095", A.H.R., Vol. XI, 1906, pp. 231-242

حسن عبد الوهاب، دراسة تحليلية لخطب البابا أربان فى كليرمونت ١٠٩٥م، مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية عدد (٥١) عام ٢٠٠١م، ص٢١٢- ٢٤٨،محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٣١٦- ص ٣١٧.

(٣٠) محمد مؤنس عوض، الإتجاهان الآسيوى والأفريقى للتوسعات الصليبية فى القرنين ١٢، ١٣م، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٩٥- ص ١٠٤.

(٣١)عن معركة حطين أنظر:

العماد الأصفهانى، الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٨١،ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٥- ص ٧٩.

The Old French Continuation of William of Tyre 1194-1197, The Conquest of Jerusalem and the Third Crusade, Sources in translation, ed. P.W. Edbury, Hampshire 1996, pp. 158- 163,

J. Richard, An Account of the Battle of Hattin referring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem State, S., XXXII, 1952, pp. 168- 175,

N. Housely, Saladin's Triumph over the Crusader States: The Battle of Hattin, 1187, H.T. 37, 1987, pp.17-23,

B.Z. Kedar (ed.),The Horns of Hattin, Jerusalem 1992,

B.Z. Kedar ,The Battle of Hattin, revised, The Horns of Hattin, pp. 190- 207,

جوزيف نسيم يوسف، "معركة حطين، خلفياتها ودلالاتها، عالم الفكر"، م(٢٠)، العدد (١) أبريل- مايو- يونيو ١٩٨٩م، ص٢٣٥- ص٢٥١،مجموعة من الباحثين، حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد، ط. القاهرة ١٩٨٩م، مجموعة من الباحثين، ندوة حطين بمناسبة مرور ثمانية قرون على موقعة حطين، ط. دمشق ١٩٨٧م، سهيل زكار، حطين والفتح الصلاحى للقدس، ط. دمشق ٢٠٠٣م، ص ٨٦- ٢٦٠،

(٣٢)عن ذلك أنظر:

M. Bren, Afriqiya, a Marke for Saharan Trade from the Tenth to the Twelfth Century A.D., J.A.S., 10, 1969, pp. 347- 364

(٣٣)عن حملة لويس التاسع على تونس أنظر:

Jean de Joinville, The life of Saint Louis, Chronicles of the Crusades, Tr. M.R.BShaw, London 1976, p. 346, primat, Chronique de Primat, Tr. Jean du Vignay, R.H.G. F.T. XXIII, Paris 1894, pp. 48- 49

ابن أبي دينار، المؤنس فى أخبار افريقية وتونس، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ١٥٩،ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط. القاهرة ب.ت. ج٦، ص ٢٩٣.

J. Strayer, The Crusades of Louis IX, in Setton, A History of the Crusades, Vol. II, Wisconsin 1989, pp. 487- 485

M. Talbi, Saint Louis: Voir Tunis et Mourir, H.T. XLVII, 1982, pp. 38- 41

F. Gabrieli, Arab Historians of the Crusades, Tr. E.J.Costello, London 1969, pp. 303- 304

مصطفى الكنانى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ٦٦٨- ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، ط. الإسكندرية ١٩٨٥، ص ١٣٣- ص ٢٧١،

فايز نجيب اسكندر، المقاومة الإسلامية فى مواجهة العدوان الصليبى على تونس سنة ٦٦٨- ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص ١١- ص ١٢،بيير برونشفيك، تاريخ أفريقية فى العهد الخفصى من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م، ت. حمادى الساحلى، ط. بيروت١٩٨٨م، ج(١) ص٨٩- ص ٩٣، حياة الحجى، السياسة الصليبية للملك القديس لويس التاسع، ط. الكويت، ص ١٠٦،سامية عامر، الصليبيون فى شمال افريقيا حملة لويس التاسع على تونس ١٢٧٠م/ ٦٦٨هـ-

٦٦٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، محمد العروسى المطوى، الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب، ط. بيروت ١٩٨٤، ص ١٣٨،محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص٣١٣- ص ٣٢١،محمد صابر منصور، أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية، ط. بنغازى ١٩٩٥م، ص ٢٣٣- ص ٢٣٤،محمد عبد القادر أبو فارس، دروس وتأملات فى الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص ٢٦،أحمد بن عامر، الدولة الحفصية، ط. تونس ١٩٧٤م، ص١٥٠- ص ١٦٢.

(٣٤) عن الساحل الشامي أنظر:

محمد السيد غلاب، الساحل الفينقي و ظهيره في الجغرافية و التاريخ، ط . بيروت ١٩٦٩م، أسامه سيد على، الساحل الشامى فى القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة عين شمس عام ١٩٩٢م، أسامه زكى زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي-الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٨١م، حسن عبد الوهاب، تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى، ط. الإسكندرية ١٩٨٩م، عثمان عشرى، مدينة صور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر م، رسالة ماجستير كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٩م،مصطفى العسقلانى، عسقلان ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م،إبراهيم سعيد، يافا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى ١٠٩٩م- ١٢٩١م/ ٤٩٢هـ- ٦٩٠هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية عام ١٩٩١م،محمد محمد فرحات، بيروت ودورها فى الصراع الصليبى-الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٤م،

(٣٥) عن ذلك أنظر:

R. Lopez and Raymond, Medieval Trade in the Mediterranean World, New York 1961

W.C. Heyd, Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, Amsterdam 1959

مجموعة من الباحثين، بحوث فى التاريخ الإقتصادى، ت. توفيق اسكندر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ط. القاهرة ١٩٦١م،جين هيك، الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية، ت. محمود حداد، ط. أبو ظبى، ٢٠٠٨م.

(الدراسات المذكورة على جانب كبير من الأهمية، لذلك من الأهمية بمكان إعادة طباعة الكتاب المشار إليه).

محمد مؤنس عوض، الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية (٥٤١هـ-٥٦٩هـ/ ١١٤٦م- ١١٧٤م)، الدارة، العدد (٣) السنة (١٦)، ربيع الآخر- جمادى الأول- جمادى الآخرة ١٤١١هـ، ص ٧٢- ص ٧٣، نعيم زكى فهمى، دور اليهود فى تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٧١م، موريس لومبار، الإسلام فى مجده الأول القرن ٨- ١١م/ ٢- ٥هـ، ت. إسماعيل العربى، ط. الجزائر ١٩٧٩م (مفكر اقتصادى بارز وكتابه من أهم المؤلفات فى مجاله).

(٣٦) عن ذلك أنظر:

Marino Sanuto, Secrets for the Crusaders to help them to recover the Holy Land, Tr. A. Stewart, P.P.T.S., Vol. VII, London 1896

النويرى السكندرى، كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوريال عطية، ٧ أجزاء، ط. حيدر أباد الدكن ١٩٦٨- ١٩٧٦م.

A.S. Atiya, The Crusade in the Later Middle Ages, London1938

N. Housely, The Later Crusades, 1274- 1580, Oxford 1992.

حسين السيد النحال، الحروب الصليبية أواحر العصور الوسطى على مصر وتونس من سنة ١٣٦٥م إلى ١٤٠٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة عين شمس عام ١٩٩١م (دراسة مهمة)،

(٣٧)عن ذلك بالتفصيل أنظر:

E. Christiansen, The Northern Crusades, The Baltic and the Catholic Frontier 1100- 1525, University of Minnesota 1980.

E.J. Johnson, Crusaders on the Baltic, A History of the Crusades, Setton (ed.), Vol. III, Wisconson 1989, pp. 545- 585

obeikandl.com